محاورة .. الشيخوخة والموت !!

شعر: بامغار موحا
ترجمة: بواجلا بن الحسن
مراكش - المغرب

أبدأ باسمك يا ربي وأفتتح
ربي أكره كل خير لم تبارك فيه
ما دامت هنالك في الوقت هجرة
فمهما يحصل لي لن أقلق بالمرة
كم إنسان سيموت
كم إنسان سينتقل إلى العالم الآخر فانيا
كم من إنسان سنجده هنالك معانيا
أرأيت من ارتكب صاعا من الذنوب
آثاره في الدنيا ستنجب سوءاً حتى يملأ عدة دروب

***

ربي أنرلي طريقي وذللْ صعابه
لكم اقترفت من ذنب عندما كنت صغيرا
وكم سجل عليّ من المعاصي بعدما كبرت.
أرى مكاني عندما تحين ساعة المنون،
حيث يلقى بي من شفا جرف لأستقر في أسفله.
لن أعود إلى دنياكم،
تركت داري وخلّفت حقولي،
لن أنال إلا ما قدمته لنفسي.

***

لم يفرح بثيابي من غسلني،
عليّ أسمال ممزقة أعطانيها صاحب المزرعة،
رعيت قمحه وحرسته من فحيح كل زوبعة،
حتى ذرّى حبه، ووزنه وحمله،
ولم يترك لي سوى التبن لأنام عليه،
أنا مثل ذلك الراعي،
الذي رعى الغنم في زمهرير الشتاء الثلجي،
حتى إذا ما جاء اللبن والزبد لم يلتفت إليّ
لم يعطني أجرتي فتركت بُرْنُسي ونعلي،
من لم يتصدق سيندم كثيرا،
الموت حق وأنا المتهاون،
ظهرت علاماته،
منذ أن أخذوا الطواحن من فمي،

انقضى زمن الضحك فداخلي حزين،
لا أستطيع أن أمضغ اللقمة ولا أن أبلعها،
كنت كالطاحونة عندما كنت صغيرا،
يستمر الطحن ويأتي الناس بأكياسهم المثقلة حبوبا.
الآن صرت مسنا لا أرى شيئا،
إن رحى أضراسي لا تطحن الطعام،
انغلق باب نفسي وغادر الكلام جوفي،
ثم قلبي ولم يبق لي ما أقول..
هل أنتظر الشباب والقوة وأنا في نزول؟!!

***

ضعف نظري ويبس ما بين عيني،
خسفت عيني فهي غائرة معتمة،
حمّ الموت فماذا أعددت له؟!
بدأت تتضح علاماته عليّ،
لا أعرف ولا أتبيّن من يأتي إليّ،
جلست أمام الباب، وكلما مر إنسان أتساءل من هو؟
إذا كان مؤمنا سلم وأعاد السلام،
ومدّ يده إلينا واسترسل في الكلام،
وإذا كان كافرا لم يكلمني وغض عني ناظريه،
يظن الأحمق أنه يملك زمام نفسه وسيستمر قويا.
انظر إلى العمر إذا امتد سيصير قصيرا،
لا تستحيي الشيخوخة، فهي تنادي جهارا.

***

الصمم هو الذي يدمي نفسي،
الصمم هو الذي يكدر نفسي، ويزيد من تعاستي،
لم أعد أسمع من يناديني،
لم أعد من أهل هذا المكان، ولم أفارق هذا المكان، لا أذهب إلى السوق، ولا أمسك المحراث وأسابق الزمن.
صرت كحجر الرحى أقبع باستمرار في مكاني،
عندما يكون حفل العقيقة عند جيراني،
أقول في نفسي: متى سأدعى إلى الحفل مع أخلائي،
ولما قدم الجار صحب كل أهلي إلى داره،
وقال لي ابني: نم هنا يا أبت،
بعد قليل سنأتيك بالعشاء،
وجثم على صدري حزن عميق،
مع من أتحدث وأنا وحيد،
فالليل طويل وفراشي غير معد للنوم، غير وثير،
أنا كسقط المتاع، أنا آنية الماء الفارغة.
عندما أزور الحلاق أبكي في قرارة نفسي مولولا،
ذلك الرأس الذي عهدته قد شهد تحولا،
أنا كشجرة التين التي اقتحمها شهر أيلول.
اصفرت أوراقي والْتَوتْ،
يوجد المرض دائما في صدري،
زرت الطبيب، فحصني ثم قال:
انتشر الإعياء داخل جسدك
أعالج من به جروح،
أما الشيخوخة فلا أملك لها دواء.
لقد نضج حصادي فاقبله يا ربي

***

ربي أرجو رحمتك حتى لا يشمت بي إبليس،
لكنني لم أسر على طريق الطاعة،
كثير من الناس لا يصلون،
ويتشبثون بالدنيا وينتظرون الشفاعة،
رأيت الرجل يشهد بخلاف ما رأى،
فضاعت الشهادة،
مصيري ممر طويل ودامس،
لا حطب، لا فتيل، لا مشكاة،
من يضيء لك قبرك؟ من يضيء حواليك؟
لا قنديل لديك.
انظر إلى عفو الله،
كم تركت صلاة الجمعات!
انظر إلى عفو الله.
كلما زرت السوق وجدت ناسا بلا عقول.
جئت لشراء بعض العجول،
فرأيت رجلا يمسك عجلا بكلتا يديه،
ويقسم عدة مرات أنه أعطي أربعين،
فقد أضاف بهتانا وزوراً عشرين،
لبسه إبليس اللعين،
لماذا الكذب وقد ضمن رزقك الرزاق الكريم؟!
أبدأ باسمك ربي وأفتتح،
يا من ندعوه أن يهدينا إلى الخير والطاعة،
أبدأ باسمك ربي وأفتتح،
ربي أكره كل خير لم تبارك فيه.